

نشرة مركز معالي

نشرة نصف شهرية

تتناول مواضيع فكرية و سياسية و شرعية
مع بعض المقالات المميزة المختارة

معالي

للدراسات والتدريب

اسطنبول ٢٠١٢

خطب طاغية دمشق فقال عن الثوار: "إنهم أعداء الشعب وأعداء الشعب هم أعداء الله وأعداء الله يحشرون في النار يوم القيامة".

وتكلم لمنصريه: "صرخوا "بأنهم لن يركعوا إلا لله" فما ركعتم لسادتهم ولا استسلمتم ولا سلمتم.. بل صمدتم وتمسكتم بوطنكم وأمتكم بإلهٍ واحدٍ أحدٍ.. لا تشاركه دول عظمى ولا يغني عنه لا نפט ولا دولار.. وعندما قالوا الله أكبر.. كان الله أكبر منهم وممن وقف معهم.. لأن الله مع الحق.. والحق مع الشعب".

يحاول الطغاة في كثيرٍ من الأحيان ولا سيما إذا ما شعروا بالخطر إظهار أنفسهم حماةً للدين والأمن العام ولا سيما إذا كانت الرعيّة مستخفةً طائشةً تصدق كل ما تسمعه من وسائل إعلام الطاغية.

من ذلك نجد أنّ فرعون برّر إقدامه على قتل موسى عليه الصلاة والسلام بأنّه من الذين يريدون العبث والاستخفاف بالمقدسات وبالدين وتحريفه، وهو أمرٌ يستحق كل من يقدم عليه القتل والتنكيل، إضافةً إلى ذلك فإن السماح لأمثاله بالتحرك بحرية في المجتمع وعدم الأخذ على أيديهم مؤدٍ إلى ظهور الفساد والفوضى في الأرض،

قال تعالى: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)).

فادعاء الخوف على الدين من الفساد، والحفاظ على الأمن العام في البلاد من العابثين كان وراء حرص فرعون على قتل موسى عليه الصلاة والسلام، وكأنّه لم يكن من ديدن فرعون -والفراعنة من قبله ومن بعد- الإقدام على قتل النَّاسِ أو اللجوء إلى البطش، ولكن حرصه على ما سبق كان الباعث له على اتخاذ قرار قتل موسى عليه الصلاة والسلام.

هذا هو منطق الطغاة في إلباس الباطل لباس الحق، وفي تزيين أعمالهم الإجرامية في نظر الرأي العام.

وكما يقول الغزالي: "المستبدون لا يعوزهم اختلاق الحجج لتبرير جرائمهم، وليس قلب الحقائق بالأمر العسير على من يريد سفك الدم الحرام! ومن ثم اتهم فرعون موسى بأنه مظنة تغيير الدين ونشر الفساد! أي دين؟ إنه الحكم المطلق الذي يبيح لبشرٍ مغرورٍ أن يستذل العامة ويستعمل الخاصة... وأيّ فسادٍ يحذره فرعون على النَّاسِ بعدما أمر بقتل بنبيهم واستبقاء بناتهم؟ إن الفساد في منطق السقيم هو إيقاف هذا البغي".

والمواقع المعاصر يشهد كيف أن كثيراً من الطغاة يظهرون أنفسهم أمام وسائل الإعلام على أنهم متدينون وحريصون على الدين وأهله، وأنهم يدافعون عن المقدسات لكي ينخدع بذلك البسطاء والسذج من الناس، لذا يقومون بإثارة قضايا عامة تمس عواطف الناس ومشاعرهم وتدفعهم إلى حب كل من يدافع عنها، وإن كانت الحقيقة غير ذلك بل يقومون بتغطية جرائمهم وأعمالهم الوحشية بغطاءٍ دينيٍّ.^(١) بل يذهب بعضهم لتصوير نفسه من الحريصين على نشر العلم الشرعي وتجديد الوعي الديني فقد قال رأس النظام السفاح في خطابه الأخير: " لكن الأهم في ما بدأناه منذ مدة أن يشمل هذا التطوير أيضاً المؤسسات الدينية التعليمية التي تخرج الكوادر التي تحمل بدورها مهمة نشر التعاليم الدينية بما تحمله من أخلاقيات نحتاجها اليوم أكثر من أي وقت مضى، وأيضاً في هذا المجال قطعت وزارة الأوقاف بالتعاون مع العلماء ورجال الدين في سورية خطواتٍ مهمةً جداً بدءاً بالمرجعيات والآن سيستمرون باتجاه آليات التدريس والتعليم في مؤسساتهم".

(١) كتاب "الطغيان السياسي وسبل

تغييره من المنظور القرآني"

الدكتور عبدالرحمن عمر اسبينداري



ينبغي اعتبار المآلات والنتائج التي قد تنتج عن بعض الأفعال والأقوال والتصرفات لأنه مطلب شرعي، بل لعله من المقاصد المهمة التي ينبغي مراعاتها؛ لأن إطلاق الأحكام الشرعية والحديث في الشرع دون مراعاة مآلاته قد يفسد أكثر مما يصلح ويؤدي إلى فتن كثيرة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام.

فنهى الله تعالى عن هذا السب مراعاةً للمال الذي سيؤول إليه: وهو سبُّ الله تعالى.

وعن عبد الله بن الزبير يقول: حدثتني خالتي (يعني: عائشة) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة! لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة" متفق عليه.

فراعى النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤول إليه هدم الكعبة من ردة فعل لقريش وسبب ذلك أن القوم حديثو عهد بالإسلام.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -

يقول: كنا في غزاة فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!

فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ما هذا". فقالوا: كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها منتنة". قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا؟! والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرس منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه" متفق عليه.

وهنا خشي النبي صلى الله عليه وسلم من مآلات قتل المنافقين، وهي الحملة الإعلامية المسعورة التي ستحدث ببلبة وتُعطي صورة مشوهة عن الإسلام ونبي الإسلام، فتحسب لها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يُقدم على هذا التصرف مراعاةً لمآلاته.

ومن ذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري عن إقامة الحد على السارق في الغزو خشية أن يؤول الأمر إلى ردة السارق والتحاقه بالكفار.

وعن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل، قال: "يا معاذ!"، قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ!"، قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ!"، قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؛ إلا حرمه الله على النار"، قال: يا رسول الله! أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: "إذا يتكلوا". متفق عليه.

فقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم من مآل البشارة، أن يترتب عليها اتكال الناس وعودهم عن العمل، وعدم اجتهادهم في العبادة.

لذلك من شأن الاهتمام بهذا الفقه أن يجعل عندنا نظرةً مستقبليةً تمنعنا من الإقدام على فعلٍ أو تصرفٍ تفوق مضرته مصلحة، ويحملنا على أداء فعلٍ أو تصرفٍ ترجح مصلحته على مفسدته.

وقد تم رقد هذه الإستراتيجية بواحدة أخرى تعرف باسم مشروع " الإستراتيجية الإيرانية العشرينية" (٢٠٠٥-٢٠٢٥)، ومن الملفت أن معظم هذه الطروحات لا تخرج عن الطموحات القديمة لإيران الشاهنشاهية، ولكنها ومنذ عام ١٩٧٩ بدأت تأخذ طابعاً آخر عبر العبء الإسلامية فهي تختصر أيضاً رؤية مفجر الثورة الخميني للطموح الإقليمي الإيراني وفق ما نقله عنه أول رئيس للجمهورية الإيرانية بعد الثورة أبو الحسن بني صدر الذي قال: ((كان الخميني يقول إنه يريد إقامة حزام شيعي للسيطرة على العالم الإسلامي، وكان هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان وعندما يصبح سيداً لهذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج العربي للسيطرة على بقية العالم الإسلامي)).

الإقليمية في المشروع الإيراني:
يعود اهتمام إيران في التركيز على الإقليمية لعدة أسباب لعل أهمها:
- حب البروز عالمياً وبما يعكس إحساساً بأنها قوة ليست إقليمية فحسب بل عالمية، وانخراط إيران في المنطقة يخدم هذا الهدف ويسرع منه لأهمية المنطقة إستراتيجياً.

هذه المقالة ملخص لورقة قدمها الدكتور علي حسين باكير الباحث في منظمة البحوث الإستراتيجية و ذلك في ورشة العمل التي أقامها مركز أمية للبحوث والدراسات بعنوان " المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية " وقد جمعه المركز في كتاب متوافر إلكترونياً.
ماهية المشروع الإيراني:

الإستراتيجية الوطنية (نظرية أم القرى) يهدف إلى فرض الهيمنة وتؤكد على:

١- الحفاظ على الطابع والموقع الإسلامي لإيران.

٢- الحفاظ على أمن إيران.

٣- التوسع الإقليمي وذلك بإقامة حزام (إيران، العراق، سوريا، لبنان) للسيطرة على النفط ثم الخليج العربي للسيطرة على العالم الإسلامي أجمع.

يعطي هذا المشروع لوضع إيران في العالم الإسلامي هالة من القدسية يعتبرها أم القرى وأن واجب الدفاع عنها يعلو على أي مصلحة أخرى، كما يعطي أهمية قصوى لموقع إيران الجيوبوليتيكي في السياسة الخارجية من أجل تحقيق التمدد الإقليمي وفض الهيمنة.

وتعيين ضباط في البعثات الدبلوماسية كالسفير الإيراني السابق في العراق "حسن كاظم قمي" والسفير الذي جاء بعده "حسن دانافار" وهم ضباط في فيلق القدس.

٤_ البراغمة: عن طريق عقد صفقات سرية مع الغرب مثل إيران جيت. دوائر التقاء المشروع الإيراني مع إسرائيل:

يعتمد جوهر المشروع الإسرائيلي في منطقتنا على ثلاثة أهداف رئيسية وهي: تأمين دولة إسرائيل والهيمنة على المنطقة وتكريس التفوق الإسرائيلي ومنع بروز أي قوة في المنطقة تقوض الهيمنة الإسرائيلية.

١- ساحة الأطماع والعمل هي نفسها بالنسبة للمشروعين (البلاد العربية) مع تركيز إسرائيل على دائرة الشام ومصر وتركيز إيران على الخليج والعراق.

٢- كلا البلدين يعتمد سياسة الدفاع خارج حدوده، اليهود يعتمدون القوة وإيران تعتمد الأذرع والجيوب الشيعية.

٣- كلا الطرفين يظن أنه الأكفأ للسيطرة على المنطقة العربية.

يعتقد تريتا بارسي صاحب كتاب "الحلف الغادر" أن العلاقة بين المثلث

الإسرائيلي - الإيراني - الأمريكي تقوم على المصالح والتنافس الإقليمي

- السيطرة الاقتصادية: مما يجعل من طهران قوة اقتصادية عالمية فهذه المنطقة مرتبطة اقتصادياً بالعالم بشكل كبير عبر النفط والممرات الإستراتيجية.

- الرفع من وزنها السياسي على الصعيد العالمي: إذ أن الاشتباك مع هذه المنطقة والتواجد الدائم فيها سيجعل إيران شريكاً أساسياً مع القوى العظمى في الجلوس على طاولة المفاوضات.

- الدفاع عن إيران خارج حدودها: فالإقليمية تشكل خط دفاع متقدم عن إيران والنظام الإيراني.

ركائز تفعيل المشروع الإيراني:

١_ الخطاب الديماغوجي (القضية الفلسطينية): لكسب تعاطف الجماهير.

٢_ تعزيز القدرة العسكرية.

٣_ الأذرع بإيجاد خلايا حزبية وعسكرية وأمنية خارجية: هناك حركات وأحزاب تمثل هذا النفوذ بشكل رسمي وعلني

وبتبعية عضوية وخاصة عندما تكون شيعية كحزب الله اللبناني الذي أعلن أمينه العام علناً بأنه يفتخر بأن يكون فرداً تابعاً للولي الفقيه في إيران.

بالإضافة إلى التحويل على حركات إسلامية ذات توجه قريب أو حتى امتطاء موجهتها تحت شعار المقاومة لاستغلالها للأجندة

الإيرانية، بالإضافة إلى التمدد في داخل الدول العربية

٣_ كلاهما يعتمد سياسة التوتير المضبوط لخلق حالة عدم استقرار باسم مكافحة الإرهاب عند اليهود والممانعة لدى إيران.

٤_ إيران تعتمد في اقتصادها على النفط وإسرائيل تعتمد على صلتها بالغرب ولذلك لا يهتم الدولتين النمو الاقتصادي الإقليمي.

دوائر اصطدام المشروع الإيراني مع تركيا:

المشروع التركي يركز على مبدئين أساسيين كضرورة النهوض بأنقرة كقوة إقليمية:

الأول: يتمثل بتحقيق الاستقرار الإقليمي والثاني يتمثل بتعميق العلاقات والروابط الاقتصادية ومن الملاحظ أن دولاً عربية عديدة تشترك مع تركيا في هذين الهدفين، على عكس إسرائيل المهتمة بالتركيز على البعد الأمني بالمنطقة وإيران التي تحاول استغلال ما طرأ على المنطقة من تحولات لتفرض نفوذها وهيمنتها.

١_ سياسة تركيا تقوم على تأمين الاستقرار للجوار بينما تعتمد إيران سياسة التوتير المضبوط.

٢_ لا تنظر إيران بارتياح لعلاقة الشراكة بين تركيا وبعض الدول العربية بجانب دعم تركيا لثورة الشعب السوري.

٣_ صعود تركيا إقليمياً يقلص الدور الإيراني.

٤_ تحاول تركيا تحجيم إسرائيل بجهد ذاتي بينما تفتعل إيران معارك وهمية مع إسرائيل بأوراق عربية لمصلحتها.

وليس على الأيديولوجيا والخطابات والشعارات الحماسية، واستناداً إلى الكتاب المهم الذي ألفه فإن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع قابل للحل.

وإذا نظرنا بعمق نجد أن ما يجمعهما أكثر بكثير مما يفرقهما: فكلتا الدولتين تميلان إلى تقديم أنفسهما على أنهما متفوقتان على جيرانهما العرب، وكلاهما يشعر بالتفوق والاستعلاء والاحتفاظ بحالة لا حرب ولا سلام، كما أن تفتيت المجتمعات والدول العربية من الداخل يعتبر أولوية لدى المشروعين الإيراني والإسرائيلي، كما أن كليهما يشعر بالانفصال عن المحيط الخارجي ثقافياً وسياسياً وإثنيًا وغير مهتم بموضوع الازدهار الاقتصادي الإقليمي.

كما أنهما يلتقيان بتكتيكات متشابهة ضد العرب:

- ١_ رفض عملية السلام لأنه يفقد اليهود ورقة التفوق ويهمش الإيرانيين ويكشفهم.
- ٢_ كلاهما يسعى لتفتيت البنية الاجتماعية للدول العربية عن طريق بث الفرقة الدينية الطائفية والقومية.

• المشروع الإيراني مشروع إستراتيجي طويل المدى محدد له إطار وأدوات تنفيذ وأشكال تطبيق.

• السياسة الخارجية تعتمد في كثير من الأحيان إلى تنفيس الاحتقان ضدها فتقوم بتغيير الأسلوب والتكتيك مع الإبقاء على الهدف والإستراتيجية.

توصيات في التعامل مع المشروع الإيراني:

- الحفاظ على وحدة وتماسك للدولة والمجتمع في العالم العربي، فالاستقرار الداخلي والاجتماعي ضمن الإطار الطاغي لهوية المنطقة العربية والإسلامية شرط أساسي في نجاح تطبيق سياسة مواجهة المشروع الإيراني..

- التركيز على أدوات تنفي السياسة الخارجية الإيرانية في المنطقة ووسائل اختراقها للمحيط الإقليمي من الناحية البشرية والمادية والمذهبية والاجتماعية، وتحديد حلفائها وأساليب التعامل معهم من خلال إثارة نقاشات فكرية لنقل الصورة الحقيقية عن إيران وعن سلبية التبعية لها.

- فضح المشروع الإيراني عن طريق الإعلام والمؤتمرات.

- اعتماد مبدأ استغلال الأخطاء وكشف الصفقات السرية التي تقوم بها إيران مع من تدعي خصومتهم وتوظيف ذلك في سبيل تعرية المشروع الإيراني ومواجهته.

إن اختلاف المشروع الإيراني مع نظيره التركي لا يعني أنهما سيخوضان حرباً ضد بعضهما البعض وهنا تكمن خطورة المعطين، فعلياً أن نحذر من أن نكون مجرد ساحة وأن نرتقي إلى مستوى الفاعل الحقيقي لا المفعل به.

معطيات حول إيران:

• الرئيس مهما اختلف اسمه أو حزبه فهو الشخص الثاني في النظام ومهمته مهمة تنفيذية، ويشرف عليه وعلى طريقة أدائه الرجل الأول والذي تدور حوله كافة السلطات في النظام الإيراني وهو المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي.

• المواضيع الجوهرية في السياسة الخارجية لإيران ثابتة في معظمها وهي عدائية هجومية تدخلية في جزء كبير منها في المحيط الإقليمي، ولكنها أكثر انفتاحاً وتفهماً في أماكن أخرى.

• السياسة الخارجية الإيرانية براغماتية إلى حد الانتهازية واستغلالية إلى حد النفاق، وتوظف بشكل ممتاز الأخطاء التي يرتكبها الفاعلون في المحيط الإقليمي أو الدولي .

• السياسة الخارجية الإيرانية غير تقليدية تعتمد في تطبيق عناصرها شكلين: أحدهما ظاهر علني شعبي والآخر دبلوماسي غير ظاهر وغير معن يعتمد سياسة الأبواب الخلفية وهو أسلوبهم المفضل عادةً.

م - الحرص على عدم جمع الشيعة في سلةٍ واحدة.

مخاطبة الجماهير بطرقٍ حكيمةٍ عن طريق الإعلام لكشف تحركات إيران ضد أمتنا.

إنشاء مركز أبحاث جامع هدفه دراسة ورصد السياسات السلبية الإيرانية تجاه المنطقة وتقديم الاقتراحات لمواجهتها،

والاهتمام برعاية باحثين وإعلاميين عرب ودفعهم لإتقان اللغة الفارسية وذلك لما لهذه النقطة من أهميةٍ لجهة تناول

وتحليل ونقد الأخبار والوثائق الإيرانية والتي تكون مكتوبةً باللغة الفارسية.

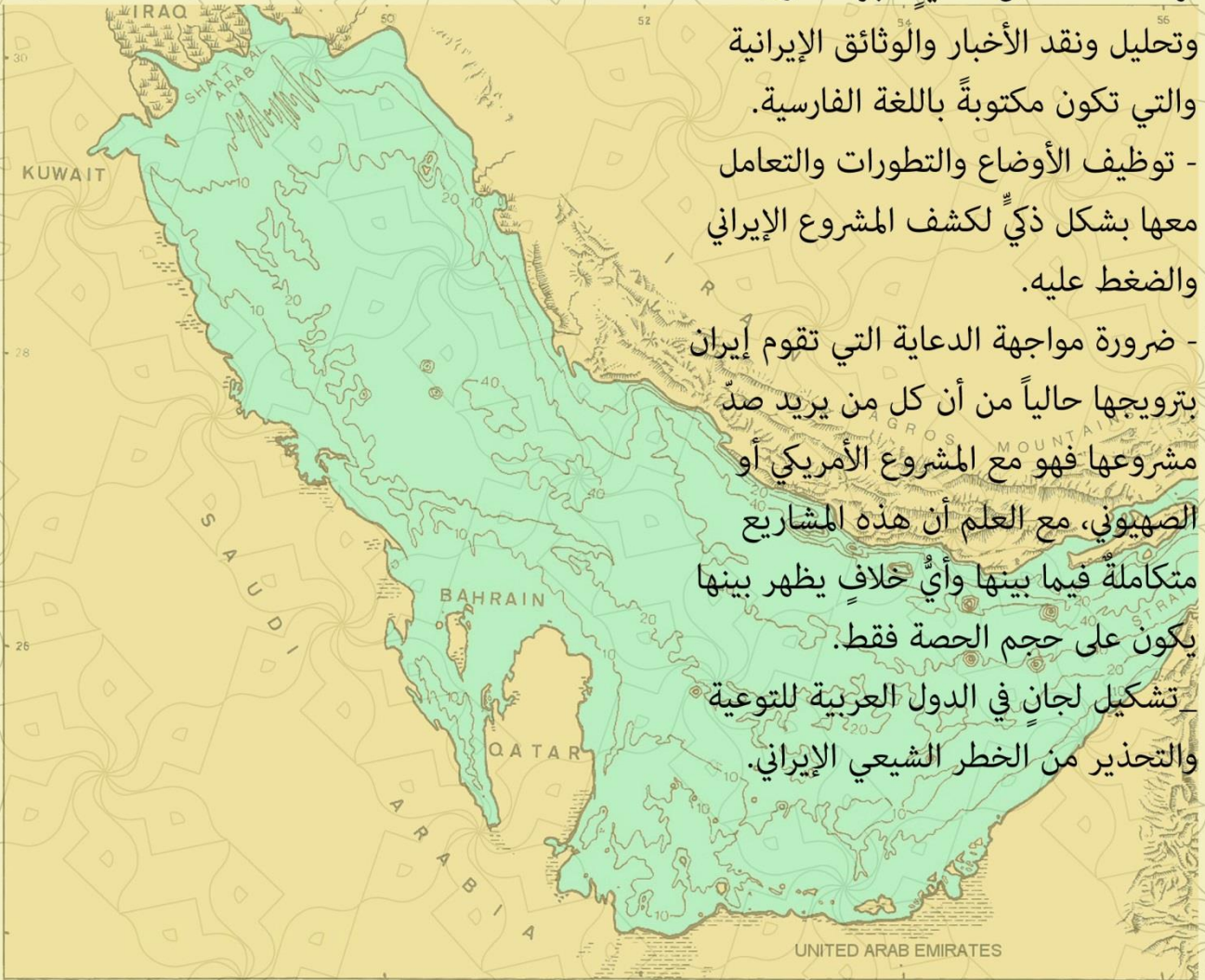
توظيف الأوضاع والتطورات والتعامل معها بشكلٍ ذكيٍّ لكشف المشروع الإيراني والضغط عليه.

ضرورة مواجهة الدعاية التي تقوم إيران بترويجها حالياً من أن كل من يريد صدّ

مشروعها فهو مع المشروع الأمريكي أو الصهيوني، مع العلم أن هذه المشاريع

متكاملةٌ فيما بينها وأبّ خلافٍ يظهر بينها يكون على حجم الحصة فقط.

تشكيل لجانٍ في الدول العربية للتوعية والتحذير من الخطر الشيعي الإيراني.



الباب الثاني

آثار اضطرابات الحياة الفكرية في المجتمعات الإسلامية:

وهو يتحدث عن الفترة التي سبقت الهجمات الصليبية على المبادئ والقيم التي كانت توجه علاقات الأفراد والجماعات وتوجه سلوكهم، ويلحظ افتقار هذه المجتمعات إلى المفاهيم الصائبة والقيادات الناضجة، حتى سار الناس في حياتهم اليومية والعامة دون إرشادٍ صحيحٍ، واختفت الموازين الإسلامية وسيطرت الأهواء والشهوات.

وقد أثر هذا في سائر الميادين الحياتية فأفسدها، وأضعف مقومات المجتمع في الداخل ومناعة المقاومة فيه، وجعله عرضةً للهزائم والنكسات .. وقد لاحظ المؤلف فساد الحياة الاقتصادية من خلال قيام وسائل الكسب على أسسٍ غير مشروعةٍ، فالدولة تفننت في أنواع الضرائب والابتزاز، حتى الحجاج كانوا يدفعون الكثير للبلد الذي يمرون فيه. وقد أثرى القائمون على أمور الإدارة إثراءً يفوق التصور .. واقتفى الجند آثار الأمراء والوزراء فكانوا - إذا ما نشبت الفتن بين الأمراء والسلطين والملوك - يستغلون الفرصة وينهبون المدن والمحلات التجارية والبيوت.

وتفنن التجار في رفع الأسعار خاصةً خلال ندرة الأقوات والحاجات،

فعاثت الجماهير من ضروب الجوع مالا يمكن تصويره ولا تصديقه، وتكاثرت المصائب والفقر والأمراض، وأسهمت في إضعاف المجتمعات الإسلامية أمام الأخطار الخارجية ..

وفسدت الحياة الاجتماعية نتيجةً لانهايار وحدة العقيدة في الحياة الفكرية، كما انهار مفهوم الأمة الإسلامية، وحلت محله مفهومات العصبية والإقليمية والعشائرية والمذهبية، وانصرف الناس إلى الانشغال بقضاياهم اليومية الصغيرة التي تدور حول الغذاء والكساء والمأوى والتنافس في التجارات واللهو وتلبية الشهوات، وانتشر النفاق والوصولية وسقطت الأخلاق وانهارت القيم، وصار الحديث عن المثل العليا أو القضايا العامة، إما وسيلةً ثقافيةً يتكسب بها الخطباء والوعاظ، أو مثالياتٍ وخيالاتٍ يستخف بها الكثيرون . ولقد وصف المؤرخ أبو شامة ناس تلك الفترة فقال :

" كانوا كالجاهلية، همّة أحدهم بطنه وفرجه، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً " . ورافق هذا الفساد مضاعفاتٌ من اللهو والفساد الخلقي، ترافق في العادة كل انحطاطٍ في أيّ زمانٍ ومكانٍ، فقد شاع الزنا وشرب الخمر، وانتشرت الملاهي والجواري والمغنيات وما إلى ذلك من منكرات .



وفي الفصل السابع تحدث المؤلف عن الانقسام السياسي: إذ ظهرت دويلات في دمشق والموصل وسواهما، واستمرت علاقات الشك والريبة والطمع تحكم تلك الدويلات التي دخلت فيما بينها في صراعاتٍ وحروبٍ انعكست على الجماهير الذين كانوا يتعرضون للإيذاء والنهب والتفكك الاقتصادي والاجتماعي، واستغل الصليبيون حالة الوهن والضعف هذه، فأغاروا على البلاد وفتكوا بالعباد، وكان أمراء بعض البلاد أكثر شراً من الصليبيين، وكان هؤلاء طغاةً وباطنيين ارتكبوا من الجرائم ما تقشعر له الأبدان .

ويتناول الفصل الثامن حالة ضعف العالم الإسلامي أمام الهجمات الصليبية ودخول أميري حلب ودمشق في طاعة الصليبيين وأداء الجزية لهم، وسقطت أنطاكية ثم بيت المقدس عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م واقترف الصليبيون المذابح الوحشية في كل مدينة أو قرية دخلوها، وخاضت خيولهم بدماء الضحايا من الرجال والنساء والأطفال، فيما كان السلاطين والأمراء لاهين في منازعاتهم وخصوماتهم، وفيما كانت الجماهير مشغولةً بشؤونها الصغيرة وقضاياها التافهة، ولم تحركهم دماء أكثر من سبعين ألف شهيدٍ من المجاورين والعلماء والطلاب والعباد والزهاد الذين فتك بهم الصليبيون في ساحة المسجد الأقصى.

وفي الباب الثالث يتحدث الكاتب عن: المرحلة الأولى لحركة التجديد والإصلاح فيقول: " اشتدت الحاجة إلى تغيير الاتجاهات القائمة في المجتمع، ومواجهة التحديات الزاحفة، وصار العالم الإسلامي أمام مصيرين لا ثالث لهما: إما أن يغير أوضاعه تغييراً جذرياً من داخله، وإما أن يستسلم للتحديات التي تنذر بتدميره والإجهاز عليه .

ولقد مرّت عملية التغيير بمرحلتين : الأولى: اتخذت طابعاً سياسياً قادتها حكومة السلاجقة، ووجهتها جماعة الشافعية.

أما المرحلة الثانية فقد بدأت في ميدان القيم والمعتقدات، واستمرت حتى بلغت مداها المطلوب في دحض المحتلين من الصليبيين، ودفع تحديات الباطنية وتحرير المقدسات.

ونجاح هذه المرحلة كان يتفق مع قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))،

وهذا ما يتفق مع قوانين قيام المجتمعات وانهارها .. فالذي كان يحول دون ظهور القيادة الواحدة القوية هو بقاء القيادات الضعيفة المتعددة، مقيدةً بقيم الجاه الفردي والمكانة الاجتماعية والرغبة في الهيمنة والتصرف بالمقدرات العامة.



والذي كان يحول دون ظهور أفكار الولاء للأمة الإسلامية الواحدة هو: بقاء الجماعات مقيدةً بأفكار الولاء للعائلية والإقليمية والمذهبية .. والذي كان يحول دون رسوخ فكرة التضحية، هو حرص الأفراد على المكاسب والمتع الدنيوية.

ولم يكن غريباً أن يبرز قادة التغيير من بين الفئات التي تعمل في ميدان العقيدة والفكر، وتمتحن التعليم والإرشاد، لأن هذه أفضل المحاضن التي ينمو فيها قادة التغيير، بسبب المعاناة الفكرية والنفسية التي يلهبها الإحباط وعدم الرضى بالتصورات والممارسات القائمة، ويدفعها إلى البحث عن أفكار أنضج، وعن أساليب في العمل أفضل.

لقد برز من بين الشافعية والحنابلة مدرستان فكريتان قادتاً عملية الإصلاح والتجديد .

الأولى: مدرسة الغزالي، والثانية: مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني.

فقد نبذ كلٌّ من المدرستين الأهداف الدنيوية والعمل المذهبي، وتلاحمت جهودهما معاً وتكاملت مع سائر المخلصين من المذاهب والجماعات الإسلامية الأخرى، وتشكلت مدرسةً فكريةً تربويةً تركزت أهدافها على إخراج جيلٍ جديدٍ من العلماء والموجهين والقادة والعاملين الذين تطابقت أهدافهم بدل أن تتناوب وتتصارع وتختلف،

وكانت غاياتهم خالصةً في سبيل الله، ومتفقةً مع روح الرسالة.

في الفصل العاشر يتحدث الكاتب عن دور مدرسة أبي حامد الغزالي في الإصلاح، وعن المنهج الذي سار عليه، ويتمثل في ثلاث قواعد:

الأولى: أن الأساس في وجود الأمة

الإسلامية هو حمل رسالة الإسلام إلى العالم كله. وحين قعد المسلمون عن تبليغ الرسالة امتلأت الأرض بالفتنة والفساد، وصار الناس ضحايا هذا القعود.

الثانية: البحث في أسباب قعود المسلمين عن أداء الرسالة من داخل أنفسهم .

والثالثة: الغاية من بيان أسباب القعود

يجب أن تستهدف التشخيص وتقديم

العلاج، لا أن تكون مجرد توتراتٍ سلبيةٍ تقوم على التلاوم وتبادل الاتهام.

فالغزالي يعالج (قابلية الهزيمة بدل

التباكي على مظاهر الهزيمة) لأن المشكلة

في نظره إنما تكمن في فساد المحتويات

الفكرية والنفسية عند المسلمين، في أمور

العقيدة والاجتماع وما سوى ذلك؛ وهي

مضاعفاتٌ تزول بزوال المرض الأساسي.

فالغزالي لم يجعل منطلقه الأول هو البدء

بالإصلاح الفكري والنفسي .. بدأ الغزالي

هذا التغيير في خاصة نفسه أولاً، ثم أخذ

بتغيير ما بأنفس الآخرين، واستمر

أصحابه وتلامذته في تطبيق هذا المنهاج،

فالحكمة من المال إرساء قواعد العدل الاجتماعي، وإعانة الناس على التحرر من شواغل المعيشة التي تعطل عن العبادة، أو تحيلها إلى صورٍ لا روح فيها. وأفضل درجات القرب إلى الله هو سدّ حاجة المحتاجين إلى درجة الكفاية التامة، وليس إلى درجة الكفاف، حتى لو أدّى الأمر إلى الخروج عن أكثر المال الذي يملكه الغني، ولكن المغرورين من أصحاب الأموال جانبوا هذا المبدأ، وصاروا يستعملون المال في مظاهر من التدين الشكلي المرأى الذي لا معنى له.. والغزالي يفضّل سدّ حاجة الفقراء على بناء المساجد والحج وعلى النافل من الصلاة والصيام، ويروي عن ابن عباس في تفسير الماعون: أنه كل ما يعين المسلم على التفرغ لدينه، وهل يعين المسلم على التفرغ لدينه أكثر من سدّ شواغل المعيشة ومتطلباتها؟ كما ينقل عن ابن مسعود قوله: في آخر الزمان يكثر الحجّ بلا سبب يهون عليهم السفر وييسر لهم في الرزق، ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوي بأحدهم بغيره بين المال والقفار، وجاره مأسورٌ إلى جنبه لا يواسيه..

فكان من ثمار ذلك: ظهور جيل نور الدين وصلاح الدين . شخّص الغزالي أمراض المجتمع الإسلامي في أيامه، ورآها في فساد رسالة العلماء، لأنّ الأطماع أخرست ألسنتهم وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حقّ العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه عليهم، ومن استولى عليه حبّ الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأردال، فكيف على الملوك والأكابر؟ وبين الغزالي الآثار المترتبة على فساد العلماء من: بُعدٍ عن قضايا المجتمع، وانشغالٍ بقضايا هامشية لا طائل تحتها، ومن تعصبٍ مذهبيٍّ واختفاء الفضائل العلمية وانتشار الشكليات الدينية، وتفتيت وحدة الأمة وظهور الجماعات والمذاهب، وانتشار التدين السطحي الذي تمثل في فئة العلماء وأرباب العبادة والمتصوفة وأصحاب الأموال. وينتقد الغزالي سلبيات كل فئةٍ من هؤلاء، فالعلماء فقدوا صفة العالم المسلم الحقيقي وصار العلم عندهم وسيلةً لأغراضٍ شخصية، والمتصوفة قد غلب عليهم الغرور واهتموا بالزّي والهيئة والمنطق، وأصحاب الأموال لم يعرفوا الحكمة الأساسية من المال، ولم يفهموا أولويات الانفاق،

ويتحدث المؤلف عن المدرسة القادرية ودور الشيخ عبد القادر الكيلاني في الإصلاح، فيذكر أن من آثار الغزالي ظهور نوع جديد من المدارس الفكرية التي تستلهم روح المنهاج الذي بلوره الغزالي في تطبيقاتها التربوية والتعليمية، وتعمل بدأب وإخلاص لإخراج جيل جديد، ولمعالجة الأمراض التي ضربت المجتمع في سائر الميادين.

وأهم هذه المدارس هي المدرسة القادرية التي أسسها وقاد نشاطاتها مدة نصف قرن شيخ الحنابلة آنذاك الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد أيضاً، فلقد تطورت هذه المدرسة وتسلمت زمام القيادة الفكرية والتوجيه والإرشاد، وصار لها امتداداتها في العالم الإسلامي. وحينما قامت الدولة الزنكية تلاحمت معها، وشاركت في تحمل مسؤولياتها في مجابهة التحديات القائمة. وتدل الأخبار المتعلقة بالمدرسة القادرية على أنها قامت بدور رئيس في إعداد جيل لمواجهة ضد الخطر الصليبي في البلاد الشامية، فقد كانت المدرسة تستقبل أبناء النازحين الذين فرّوا من وجه الاحتلال الصليبي، ثم تقوم بإعدادهم، ثم إعادتهم إلى مناطق مواجهة الدائرة تحت القيادة الزنكية .

ويتحدث الغزالي عن صنف البخلاء من الأغنياء الذين يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يُحتاج فيها إلى البذل والعطاء، كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن، وهؤلاء يحتاجون إلى التخلص من البخل أكثر من حاجتهم إلى الاشتغال بنوافل الصلاة والصيام. قيل لبشر: إن فلاناً الغني كثير الصوم والصلاة، فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا: إطعام الطعام للجوع، والإنفاق على المساكين، فهذا أفضل من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء.

وبعد تشخيص أمراض المجتمع يتحدث المؤلف عن ميادين الإصلاح لدى الغزالي فيراها في العمل على إيجاد جيل جديد من العلماء، وعلى وضع منهاج جديد للتربية والتعليم لتخريج علماء آخرة لا علماء دنيا، وإحياء رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونقد السلاطين الظلمة وتحريم التعامل معهم، والدعوة إلى العدالة الاجتماعية، ومحاربة التيارات الفكرية المنحرفة.

وهكذا مجّد الغزالي حركة الإصلاح التي تتابعت حلقاتها بعده، حتى انتهت إلى دحر الصليبيين الغزاة، واسترجاع الأرض والمقدسات منهم .

فقد توثقت الصلات بين نور الدين زكي في دمشق والشيخ عبد القادر في بغداد، ثم أعقب ذلك مباشرةً تداعي الجماعات الصوفية للعمل مع نور الدين ثم مع صلاح الدين من بعده، وأخذ مشايخ الطرق يقومون بمهمة التوجيه المعنوي للجهاد بطريقةٍ فعالةٍ.

كما أن الشيخ عبد القادر تصدى للتطرف الباطني وللتيارات الفكرية المنحرفة، وناقش عقائدهم بموضوعيةٍ، وفضح الجذور اليهودية لبعض تلك الفرق.

والدارس لمواعظ الشيخ عبد القادر يتبين أنه اعتمد في تشخيصه لأزمات عصره نفس المنطق الذي اعتمده الإمام الغزالي، وهو اعتبار الأسباب الأساسية للفساد الذي ضرب المجتمع الإسلامي وهو دوران العقيدة في فلك السياسة، وخضوع العلماء للحكام ولشهوات الدنيا. وبهذا تحددت موضوعاته في انتقاد العلماء، علماء السلاطين وانتقاد الحكام، وانتقاد الأخلاق الاجتماعية من رياءٍ ونفاقٍ وظلمٍ ودجلٍ، وفي الدعوة إلى إنصاف الفقراء والعامّة وجعل الاهتمام بشؤونهم من شروط الإيمان.

كما عمل الشيخ على تألف جماعات السنة والتنسيق بينها، فحارب الخصومات المذهبية، وسعى لإصلاح التصوف بتنقيته مما طرأ عليه من انحرافاتٍ أبعده عن وظيفته الأصلية في التربية الروحية، وغرس معاني التجرد الخالص والزهد الصحيح. وحمل الشيخ على المتطرفين من الصوفية، ونسّق بين الطرق الصوفية ووحّد مشيخاتها، وأخرجهم من عزلتهم ليسهموا في مواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي،

مؤمن بسيسو

ما تكبدته إسرائيل من خسائر عسكرية وسياسية وإعلامية -جاء حربها الغاشمة على غزة- يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن هذه الحرب أصعب حروب إسرائيل.

الخسارة العسكرية:

لا تكاد تجد مسؤولاً سياسياً أو قائداً عسكرياً وأمنياً أو خبيراً إستراتيجياً داخل إسرائيل تُداخله العجرفة المعهودة أو يجترح المكابرة بشأن حقيقة الحرب على غزة التي يُتوقع أن تكون قد وضعت أوزارها، أو اقتربت من نهايتها بشكل أو بآخر مع نشر هذا المقال.

إذ تُجمع كل الدوائر والمجامع والمستويات الإسرائيلية المختلفة - رسمياً وشعبياً- أن هذه الحرب تشكل أصعب حروب إسرائيل على الإطلاق، في ظل ذهولٍ كاملٍ جراء القدرات الفائقة التي أبدتها المقاومة الفلسطينية في إدارة المعركة وحسن استخدام تكتيكات المواجهة، بما أذّل ناصية الجيش الذي ادعوا -دهراً- أنه لا يقهر، ووضعه في أشد لحظاته حرجاً منذ نشأة إسرائيل.

ويمكن تصنيف تكتيكات المواجهة التي أرهقت إسرائيل عسكرياً ضمن المحاور التالية:

أولاً: فنّ إطلاق الصواريخ:

منذ الساعات الأولى للحرب أدركت القيادتان السياسية والعسكرية في إسرائيل أن المخزون الصاروخي لقوى المقاومة الفلسطينية ليس مخزوناً عادياً، وأن الأمر لا يتعلق بمئات الصواريخ بل بالآلاف التي تستطيع تهديد مناطق شاسعة داخل إسرائيل. ولا يخفى أن دوائر البحث الإستراتيجي والتحليل الاستخباري العاملة ضمن المستوى العسكري والأمني والاستخباري الإسرائيلي تعكف على رصد وتفحص عدد الصواريخ التي يتم إطلاقها يومياً ونوعيتها، ومداتها والجهات التي تطلقها، وطبيعة الأماكن والمواقع التي تستهدفها، وتضع كل هذه المعطيات تحت مجهر البحث والتحليل، لتخرج من بعد بالعديد من النتائج والخلاصات حول طبيعة الأداء المقاوم ومدى قوة واحترافية قوى المقاومة وحجم قدراتها الصاروخية، وهو ما يفيدها كثيراً في فهم تضاريس المعركة مع المقاومة، ورسم تصوّر واضحٍ حول الأفق الزمني الذي يمكن أن يبلغه مسار المواجهة مع الفلسطينيين.



ولعل أخطر ما واجهته إسرائيل في إطار مواجهة صواريخ المقاومة الفلسطينية يكمن في استهداف المواقع العسكرية والأمنية الحساسة التي أعلنت المقاومة عن استهداف العديد منها في الوقت الذي حرص فيه مقص الرقيب الإسرائيلي على منع أي إشارة حولها في وسائل الإعلام الإسرائيلية، ناهيك عن دقة استهداف المستوطنات والبلدات المحيطة بغزة، والحشود والتجمعات العسكرية على التخوم عبر قذائف الهاون والقذائف الصاروخية قصيرة المدى.

ثانياً: حرب الشوارع والأنفاق:

لم يكن جيش الاحتلال يتخيل في أسوأ سيناريوهاته أن الأيام التي قضاها على الأطراف الحدودية لغزة سوف تسجل في أسوأ سجلات الإخفاق العسكري منذ نشأة إسرائيل وحتى اليوم. من أشد المفارقات التي تُظهر حجم الاستخفاف الإسرائيلي الرسمي بقوة وقدرة المقاومة الفلسطينية أن النقاشات التي جرت سابقاً داخل أروقة الحكومة الإسرائيلية حول سبل وآليات التعاطي مع مشكلة غزة وصواريخها، والخيارات المطروحة في هذا الإطار التي يشكل اجتياح غزة بالكامل إحداها،

ولم تمضِ إلا بضعة أيام على بدء الحرب حتى أيقنت القيادتان السياسية والعسكرية في إسرائيل أن العقل الفلسطيني المقاوم الذي يتولى إدارة المنظومة الصاروخية الفلسطينية يمتاز بمهارات عالية وذكاء عسكري لافت، جسده كثافة عدد الصواريخ المطلقة يومياً، وشمولها الجغرافي مختلف المدن والبلدات الإسرائيلية في طول وعرض إسرائيل، مع التركيز على منطقة الجنوب التي تشكل قلب العمل الصناعي والاقتصادي في إسرائيل، ومنطقة الوسط التي تشكل الثقل السياسي، دون أن تهمل مناطق الشمال التي أكدت مدى قدرة صواريخ المقاومة على النيل من العمق الجغرافي الإسرائيلي، وأشعرت الإسرائيليين بانعدام الأمن في كل مكان داخل إسرائيل. بل إن وقع المفاجأة على قادة الاحتلال كان مدوياً حين استمر إطلاق الصواريخ الفلسطينية على مدى أيام الحرب بوتيرة منتظمة تقريباً دون أي تغيير، وزاد الأمر تعقيداً فشل القبة الحديدية في اعتراض معظم الصواريخ الفلسطينية رغم كلفتها المادية الباهظة والهالة الدعائية الهائلة حولها التي تم تسويقها في المجتمع الإسرائيلي.

إلا أن كل ذلك فشل منذ اللحظة الأولى للاجتياح البري على صخرة التصدي الأسطوري للمقاومة. ويمكن الإشارة إلى أهم التكتيكات العسكرية لقوى المقاومة في مواجهة الحملة البرية الإسرائيلية التي أذهلت القيادتين السياسية والعسكرية في إسرائيل فيما يلي:

- الأنفاق:

تشير شهادات حيّة موثقة لجنود الاحتلال الذين شاركوا في معارك غزة البرية إلى مدى شراسة وضاوة وخطورة المواجهات مع رجال المقاومة الفلسطينية، وهو ما حدا بقياداتٍ عسكريّةٍ وخبراءٍ إستراتيجيين إسرائيليين إلى القول إن هذه الحرب تعتبر الأكثر صعوبةً في تاريخ إسرائيل بسبب فشلها في مواجهة ظاهرة الأنفاق الأرضية التي استخدمت بكثرة إبان الحرب.

فقد لعبت الأنفاق الدور الأكثر محوريةً في إذلال الجيش الإسرائيلي وتكبيده خسائر فادحة في الأرواح والعتاد العسكري، عبر العمليات الهجومية التي فاجأت وحدات النخبة الإسرائيلية وجرعتها طعم الهزيمة والانكسار في حي التفاح والشجاعية ومناطق شرق خان يونس ورفح وبيت حانون، وكان من نتائجها فقد جندي وضابطٍ إسرائيليين،

كانت تتم بأريحية واضحة واستهتارٍ بائنٍ ينم عن جهلٍ مدقعٍ بحقائق وتضاريس الواقع، وتُظهر أن الأسباب الأساسية للإحجام الإسرائيلي عن اجتياح غزة سابقاً لا ترتبط بالخشية من ثقل الخسائر العسكرية بقدر ما ترتبط بأسبابٍ سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ أخرى.

وحين اتخذ المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر للشؤون السياسية والأمنية "الكابينت" قراره ببدء المعركة البرية في نطاق المناطق الشمالية والشرقية من قطاع غزة لاستدراج المقاتلين وهدم الأنفاق، كان يعتقد أن الأمر لا يعدو كونه مجرد جولةٍ عسكريّةٍ اعتياديّةٍ لن تشهد أيّة مفاجآتٍ، وأنّ الجهد العسكري الإسرائيلي لن يستغرق سوى بضعة أيامٍ للتخلص من الأنفاق وتدمير منصات الصواريخ والإثخان في المقاتلين الفلسطينيين.

بل إن العالمين ببواطن الأمور والقارئ لما بين السطور، يدركون أنّ الخطة الإسرائيلية البرية لم تكن محدودةً بالمعنى الحرفي للكلمة، وأنّ القرار العسكري يقضي بدحرجة الخطة حسب التطورات الميدانية كي تخترق مناطق وأحياء وتجمعات هامة داخل القطاع، وتصيب قدرات المقاومة في مقتلٍ إستراتيجيٍّ،



فضلاً عن عمليات الإنزال خلف خطوط العدو التي نفذتها المقاومة باقتدارٍ كبيرٍ واحترافيةٍ عاليةٍ من خلال أنفاقٍ متوسطة المدى استهدفت مواقع عسكريةٍ في المستوطنات والمناطق القريبة من قطاع غزة، وأسفرت عن مقتل وجرح الكثير من جنود الاحتلال.

ولم يخلُ يومٌ في الحرب إلا وطالعتنا فيه الأنباء بحدثٍ عسكريٍّ قويٍّ وعمليةٍ جديدةٍ للمقاومة عبر الأنفاق، ما أصاب المستويين السياسي والعسكري في إسرائيل بهستيريا الأنفاق، واضطر نتنياهو ووزراء حكومته وقادة جيشه للقول بأن الأنفاق تشكل تهديداً إستراتيجياً حقيقياً لا يمكن التهاون معه بأي حالٍ من الأحوال.

ولعل ما ضاعف الهستيريا الإسرائيلية الرسمية إزاء ظاهرة الأنفاق أنّ النفق الواحد كان يجري استخدامه أكثر من مرةٍ من طرف المقاومة، وأن عدداً من الأنفاق التي أعلن الجيش الإسرائيلي عن تدميرها قام عناصر المقاومة بإعادة استخدامها مرةٍ أخرى، بشكلٍ أذهل قادة الاحتلال وغرس فيهم أنياب القلق والإحباط بشكلٍ غير مسبوقٍ.

- الكمائن وحرب الشوارع:

لعلّ أكثر ما فاجأ قادة وجنود الاحتلال تلك الجرأة والجسارة غير المسبوقة التي تميز بها عناصر المقاومة في مواجهة الترسانة العسكرية الإسرائيلية الكبرى،

فما أن اجتاحت الدبابات والآليات العسكرية الأطراف الشرقية والشمالية لمدن وبلدات القطاع حتى فوجئت بالمقاتلين الفلسطينيين يتصدون لها وجهاً لوجه من النقطة "صفر" في كثيرٍ من الأحيان، وينصبون لها الكمائن في كل مكان، في التحامٍ ميدانيٍّ مباشرٍ كسر هيبة الجيش الإسرائيلي، وجعل الضباط والجنود يتحدثون عن مواجهاتٍ صعبةٍ للغاية لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل، في وقتٍ تعودوا فيه على خوض حروبٍ ومواجهاتٍ خفيفةٍ أشبه ما تكون بـ"النزهة" منذ تأسيس الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨، باستثناء حرب لبنان عام ٢٠٠٦ التي واجهت فيها إسرائيل مقاومةً حقيقيةً.

لقد أبدعت المقاومة الفلسطينية في نصب الكمائن وحرب الشوارع، وأعجزت جيش الاحتلال عن مواصلة التوغل في مناطق الاجتياح، وهو ما جعل وسائل الإعلام الإسرائيلية تتحدث عن حرب شوارع حقيقية تتأسس على فنونٍ قتاليةٍ احترافيةٍ أتقنتها عناصر المقاومة، ووجدت تجسيداتاً في الأعداد المتزايدة من القتلى والجرحى الذين حفلت بهم المستشفيات الإسرائيلية يومياً.

ثالثاً- الحرب الاستخبارية:

وتتمثل الركيزة الثالثة ضمن تكتيكات المواجهة في الحرب الاستخبارية التي قادتها المقاومة بإبداع منقطع النظير.

ففي الوقت الذي فشل فيه الاحتلال استخبارياً عبر عجزه المكشوف عن جمع المعلومات عن منصات الصواريخ والأنفاق وأماكن اختفاء قادة وكوادر المقاومة وطبيعة القدرات القتالية للمقاومة، فإنّ المقاومة وخصوصاً كتائب القسام أثبتت قدراتٍ استخباريّةً لافتةً من خلال جمع المعلومات عن المواقع العسكرية الإسرائيلية في محيط قطاع غزة والمناطق والبلدات الجنوبية في إسرائيل.

وبلغت القدرات الاستخبارية لدى المقاومة حدّ جمع المعلومات عن مواقع ومنشآتٍ إستراتيجيةٍ مثل مبنى وزارة الدفاع الإسرائيلية في تل أبيب التي تمكنت كتائب القسام من رصدها عبر تسيير طائرات استطلاعيةٍ بدون طيارٍ فوقها، فضلاً عن توفير معلوماتٍ دقيقةٍ حول عملياتٍ هجوميةٍ إسرائيليةٍ قبل حدوثها، مثل عملية الإنزال البحري قبالة شاطئ السودانى شمال مدينة غزة إبان الحرب.

كما تمكنت المقاومة -استخبارياً- من تحديد أماكن الحشود والتجمعات العسكرية الإسرائيلية في المناطق الحدودية قبل وأثناء عملية الاجتياح البري المحدود، وهو ما سمح لها بإدامة قصفها والاشتباك معها على الدوام.

رابعاً- الحرب النفسية:

جرت العادة أن تباشر إسرائيل بالحرب النفسية ضد الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة ضمن حملةٍ متناسقةٍ من الألف إلى الياء، فيما يلوذ الفلسطينيون برد الفعل ليس أكثر، إلا أن هذه الحرب قلبت ظهر المجنّ أمام القدرات الإسرائيلية المعهودة في مجال الحرب النفسية.

فقد فاجأت المقاومة الفلسطينية إسرائيل قبل اندلاع المعركة برسائل إعلاميةٍ مركزةٍ ومتواترةٍ، استهدفت إرباك المستويين: السياسي والعسكري في إسرائيل وضرب الجبهة الإسرائيلية الداخلية.

ومع بدء المعركة استمرت المقاومة التي تقودها كتائب القسام في تصدير رسائلها الإعلامية المؤثرة التي تنوعت في أشكالها ومضمونها وأهدافها بصورةٍ شبه يوميةٍ، ما حدا بالعديد من المعلقين والخبراء الإستراتيجيين الإسرائيليين للتأكيد بأن إسرائيل خسرت الحرب النفسية مبكراً لصالح المقاومة الفلسطينية.

ولا ريب أن قوة رسائل الحرب النفسية للمقاومة الفلسطينية لم تأت من فراغ، وإنما تم إعدادها وصوغ مضامينها من قبل مختصين وخبراء في مجال الحرب النفسية، مما يؤشر إلى مستوى التطور الهام الذي بلغته المقاومة الفلسطينية على مختلف الأصعدة والمجالات،



ولم يعد الخداع والتضليل والفبركات الإعلامية الإسرائيلية تنطلي على أحد في ظل الفضاء الإعلامي المفتوح، الذي يرصد كل شاردةٍ وواردةٍ، ويُحصي كل جريمةٍ إسرائيليةٍ فور وقوعها، ويضع العالم في صورة الحدث الفلسطيني أولاً بأول. لا يختلف اثنان حول حقيقة تواطؤ واصطفاف وانحياز بعض الحكومات العربية والدولية إلى جانب إسرائيل وإرهابها الوحشي، إلا أن الواقع يثبت أن موقف هذه الحكومات في وادٍ، وموقف الغالبية الساحقة من شعوبها في وادٍ آخر تماماً، ما يضع هذه المواقف الرسمية غير الأخلاقية وغير الإنسانية في زاويةٍ منعزلةٍ بعيداً عن إرادة وتوجهات شعوبها، وهو ما يؤسس لحشرها في الزاوية وعزلها تدريجياً إبان المرحلة القادمة، ما سينعكس بالتالي خسارةً سياسيةً محققةً لإسرائيل وسياستها الإجرامية.

ولئن بدا أن إسرائيل عانت اليوم عسكرياً بفعل قوة وجسارة المقاومة الفلسطينية، فإن المرحلة القادمة ستحمل لها معاناةً ومتاعب سياسية حين تُضطر للرضوخ لإرادة الشعب الفلسطيني ومقاومته، وتُجبر مع حلفائها على رفع الحصار، وتنزوي إلى الحائط أمام الجهد القانوني الفلسطيني والعربي الذي سيعمد إلى ملاحقة قادة الاحتلال دولياً خلال المرحلة القادمة.

وهو ما ترك -بالتالي- أوضح الأثر على طبيعة إدارة الطرف الآخر (إسرائيل) للمعركة التي شابها الكثير من التخبط والإرباك، ومستوى الضعف الذي اعتور المجتمع الإسرائيلي والجهة الإسرائيلية الداخلية.

الخسارة السياسية والإعلامية

الوجه الآخر للصعوبات التي واجهتها وستواجهها إسرائيل يكمن في خسارتها السياسية والإعلامية جراء إمعانها في جرائم الحرب وجرائم الإبادة، والجرائم ضد الإنسانية التي اقترفتها ضد المدنيين في قطاع غزة.

قد يكون صحيحاً أن دولاً كبرى تواطأت مع إسرائيل في عدوانها الهمجي على غزة إلا أن الخارطة الدولية تثبت أن الغالبية الساحقة من دول العالم تدين الإجرام الإسرائيلي، وترى في إسرائيل دولةً فاشيةً تمارس الإرهاب المنظم، ودولةً مارقةً عن كل القيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية وكل الأعراف والقوانين الدولية.

لا تكاد تطأ موطناً على امتداد المعمورة إلا وفيه جهدٌ وحراكٌ شعبيٌّ يبغي فضح جرائم الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، أو أثرٍ إعلاميٍّ يشمئز من فظائع الاحتلال، فلم تعد الرواية الإسرائيلية اليوم موضع قداسةٍ وتصديقٍ لدى الرأي العام العالمي كما كان الأمر في محطاتٍ ومفاصلٍ سابقةٍ،

م
خلاصة القول إن إسرائيل -صغيرها
وكبيرها- وبكل مستوياتها الرسمية
والشعبية ستذكر جيداً، وبذاكرةٍ حديديةٍ،
حربها على غزة التي أرادتْها صخرةً صلبةً
تحطم بها رؤوس الفلسطينيين
ومقاومتهم، فإذا بها تنقلب مطرقةً صلبةً
تهوي على رؤوس الإسرائيليين وحكومتهم
النازية وجيشهم الغاشم الذي واجه -
بحق- الحرب الأصعب في تاريخ إسرائيل.

المصدر : الجزيرة

هذه المقالة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز



عقلية المسلم المنضبط بأحكام الشرع تدور مع دلالات النصوص وقواعد التشريع ومقاصده وقد جاءت الشريعة بجلب المصالح ودفع المفاسد.

إسلام الكافر على يد مبتدعٍ أولى من بقائه على الكفر:

نجد في واقع حياتنا أن حماس الشباب وحب السنة قد يجعل الشباب يحول بين داعيةٍ مبتدعٍ - بدعةٍ غير مكفّرةٍ - وبين كفارٍ مدعوين والفقهاء الصحيح اختيار أخف الشرين.

يقول ابن تيمية: (وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك، ومع هذا فيحصل به نفع خلقٍ كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين).

توبة الفاجر بسماعه أحاديث ضعيفة خيرٌ من بقاءه على فجوره:

لو أن إنساناً قدر له أن يصلح حاله من الفسق والفجور إلى الرغبة في التوبة على يد عابدٍ قليل العلم رغبه ورهبه بأحاديث ضعيفة فاستجاب.

يقول ابن تيمية: (وكذلك كثيرٌ من الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والأحكام والقصص قد يسمعها أقوامٌ فينتقلون بها إلى خير مما كانوا عليه،

وهذا كالرجل يسلم رغبةً في الدنيا ورهبةً من السيف ثم إذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الإيمان في قلبه فانتقل إلى خيرٍ مما كان عليه وخف الشر الذي كان فيه).

يقدم لولاية أمور الناس أمثل الفسقة إذا لم يوجد العدل:

يقول العز بن عبد السلام: (لو تعذرت العدالة في جميع الناس لما جاز تعطيل المصالح المذكورة، بل قدمنا أمثل الفسقة فأمثلهم وأصلحهم للقيام بذلك فأصلحهم، بناءً على أنا إذا أمرنا بأمرٍ أتينا منه ما قدرنا عليه ويسقط عنا ما عجزنا عنه، ولا شك أن حفظ البعض أولى من تضييع الكل، ومثل هذا قلنا: إذا عم الحرام بحيث لا يوجد حلالٌ فلا يجب على الناس الصبر إلى تحقق الضرورة لما يؤدي إليه من الضرر العام).

الصلاة خلف المبتدع أولى من ترك الجماعة:

فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعاً، فإذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور إلا بضرٍ زائد على ضرر إمامته لم يجز ذلك،



بل يصلى خلفه ما لا يمكن فعلها إلا خلفه، ولهذا كان الصحابة يصلون خلف الحجاج والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما.

السكوت عن بعض المسائل أحياناً هو مقتضى الشرع والعقل:

يضع الشاطبي ضابطاً لذلك فيقول: (وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية).

الواجب الأكيد والمحرم الأدنى _ عند التزاحم والتحتم _

يقول ابن تيمية: (فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقدم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب على الحقيقة، وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل الأدنى لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة).

تقدير المصالح بميزان الشريعة :

وليس المقياس في تحديد المصالح هوى النفس، ويدرك ميزان الشريعة من كان خبيراً بالنصوص فقيهاً بتقريب المسائل إلى شبيهه أو نظير مما جاءت به النصوص. تحتمل مفسدة الاستعانة بالمبتدعة في

تحصيل واجب أعظم:

حين رأى السلف عند أهل بدعة القدر في البصرة أحاديث لم يجدوها من طريق غيرهم، وازنوا بين المصلحة بهجر الرواية عنهم زجراً لهم عن بدعتهم ومصلحة حفظ السنة من الضياع فرجحوا مصلحة حفظ السنة.

يقول ابن تيمية: (فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم).

من كتاب فقه الائتلاف

- قواعد التعامل مع المخالفين بالإضاف -

الأستاذ محمود الخزندار

نشرة مركز معالج

- * افتتاحية العدد
- * من فقر الأولويات
- * إيران، التنافس الشرق أوسطى
- * عرض كتاب
- * مقالة مختارة
- * من فقر اللائح

معالم

للدراسات والتدريب



🏠 Aksaray Mah. (Haseki Sultan), Cerrahpasa Cad. No: 8
,Nimetap.D-5,Fatih,Istanbul,Turkey

☎ +90 537 996 2941 ☎ +90 538 037 7731 ☎ +90 531 013 6022

✉ Maalim.sy@gmail.com

🐦 @Maalim_sy

🌐 Maalim.SY

📘 \Maalim.SY